وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

EISSN : 2710-8643

ISSN : 2602-7585

إحالات
IHALAT

مجلة أكاديمية دولية نصف سنوية مُحكّمة

المجلّد 03 - العدد 02 - ديسمبر 2021

المركز الجامعي غليزان

معهد الآداب واللغات

لوحة الغلاف من تصميم الفنّان

أحمد بوحفص

ISSN: 2602 – 7585

EISSN: 2710 – 8643

الإيداع القانوني: ديسمبر 2021

مجلّة أكاديميّة دوليّة نصف سنويّة مُحكَّمة

تصدر عن معهد الآداب واللّغات بالمركز الجامعي مغنيَّة بالجزائر

تُعنى بنشر الدّراسات اللّغوية والأدبيّة والنّقدية

باللّغة العربيّة والإنجليزيّة والفرنسيّة

المُجلَّد 03 / العدد 02

ديسمبر 2021

تُرسَل المقالات عبر حساب المجلّة في المنصّة الجزائريّة للمجلّات العلميّة:

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/587

تُوجَّه المُراسَلات إلى رئيس التّحرير عبر بريد المجلّة:

adabmajala18@yahoo.com

المدير الشّرفي للمجلّة

أ. د. مراد نعوم

مدير المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر

مدير المجلّة

د. نورية بن عدّي

مديرة معهد الآداب واللّغات – المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر

رئيس التّحرير

أ. د. سيدي مُحَمَّد بن مالك

المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر

فريق التّحرير

أ. د. يوسف إسكندر	جامعة بغداد – العراق	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد الحقّ فواز	الجامعة الهاشميّة – الزّرقاء – الأردن	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد الحقّ بلعابد	جامعة قطر	مساعد مُحرِّر
أ. د. عماد غنوم	الجامعة اللّبنانية – لبنان	مساعد مُحرِّر
أ. د. نادر إدلبي	جامعة كوجه ألي – تركيا	مساعد مُحرِّر
أ. د. سالمة العمامي	جامعة طبرق – ليبيا	مساعد مُحرِّر
أ. د. عواطف عبد المنعم	جامعة إفريقيا العالميّة – الخرطوم – السّودان	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد الله بريمي	جامعة الرّشيدية – المغرب	مساعد مُحرِّر
أ. د. مُحَمَّد شوقي الزّين	جامعة تلمسان – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. مختار زواوي	جامعة سيدي بلعباس – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. عزّ الدّين جلاوجي	جامعة برج بوعريريج – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. حاج أحمد الصّديق	جامعة أدرار – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. سعيد تومي	جامعة البليدة 2 – الجزائر	مساعد مُحرِّر

أ. د. مُحَمَّد خاين	جامعة غليزان – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. نادية بوشفرة	جامعة مستغانم – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد القادر شريف حسني	جامعة تيارت – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد القادر رحماني	جامعة الجزائر 2 – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد الرّحمن بغداد	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. فاطمة صغير	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. مجدي الأحمدي	جامعة تبوك – السّعودية	مساعد مُحرِّر
د. مُحَمَّد صالح حمراوي	المعهد العالي للعلوم الإنسانيّة – تونس	مساعد مُحرِّر
د. نصيرة شيادي	جامعة تلمسان – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. عبد الرّزاق علّا	جامعة عين تموشنت – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. غزلان هاشمي	جامعة سوق أهراس – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. سهيلة مريبعي	جامعة الجزائر 2 – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. أحلام بن الشّيخ	جامعة ورقلة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. فتيحة بلحاجي	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. وهيبة وهيب	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. سمير زياني	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. حنان رباحي	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. مُحَمَّد بكاي	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. عبد الصّمد عزوزي	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	سكرتير التّحرير

فريق المُراجِعين لهذا العدد

أ. د. بشير عبد العالي [جامعة تلمسان – الجزائر]	أ. د. عبد الله بريمي [جامعة الرّشيدية – المغرب]
أ. د. هاجر مدقن [جامعة ورقلة – الجزائر]	أ. د. مختارية بن قبلية [جامعة مستغانم – الجزائر]
أ. د. عزّ الدّين حفّار [جامعة مستغانم – الجزائر]	أ. د. عبّاس العشريس [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]
أ. د. عبد القادر بوشيبة [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	د. أمّ السّعد فوضيلي [جامعة المسيلة – الجزائر]
د. روفية بوغنوط [جامعة أمّ البواقي – الجزائر]	د. فاطمة الزّهراء زيبوش [جامعة الجزائر 2 – الجزائر]
د. فاتح بوزرى [جامعة الجزائر 2 – الجزائر]	د. الشيخ كبير [جامعة عين تموشنت – الجزائر]
د. عبد الحميد ختالة [جامعة خنشلة – الجزائر]	د. فطيمة الزّهرة عاشور [جامعة برج بوعريريج – الجزائر]
د. مُحَمَّد يزيد سالم [جامعة باتنة 1 – الجزائر]	د. حسيبة عدو [جامعة سعيدة – الجزائر]
د. حورية مرتاض [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	د. فوزية سرير عبد الله [جامعة البليدة 2 – الجزائر]
د. رقية جرموني [جامعة معسكر – الجزائر]	د. مُحَمَّد كوشنان [جامعة المدية – الجزائر]
د. لبنى أمال موس [جامعة تلمسان – الجزائر]	د. سعيد بن عامر [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]
د. دليلة زغودي [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	د. نسيمة شمام [جامعة خنشلة – الجزائر]
د. نوال آقطي [جامعة بسكرة – الجزائر]	د. سماحية خضار [جامعة مستغانم – الجزائر]
د. نجية موس [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	د. ياسين بوراس [جامعة برج بوعريريج – الجزائر]
د. منى بشلم [المدرسة العليا للأساتذة بقسنطينة – الجزائر]	د. مُحَمَّد نجيب مرني صنديد [جامعة عين تموشنت – الجزائر]
د. صليحة بردي [جامعة خميس مليانة – الجزائر]	د. سليمة مسعودي [جامعة باتنة 1 – الجزائر]
د. عبد الله بن صفية [جامعة برج بوعريريج – الجزائر]	د. سعيد أبو خضر [جامعة آل البيت – الأردن]
د. زعيمة عراس [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	د. خديجة مرات [جامعة سطيف 2 – الجزائر]
د. عبد الله بن زهية [جامعة الجزائر 2 – الجزائر]	د. مدقدم مولاي [جامعة المدية – الجزائر]
د. عزّ الدّين بلمختار [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	د. عبد الرّحمن حمداني [جامعة خميس مليانة – الجزائر]
د. عبد الوهاب رمضان رجب السّيد [تركيا]	أ. لحسن عزّوز [جامعة بسكرة – الجزائر]
أ. عبد المجيد عامو [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	أ. إبراهيم الطّاهري [المغرب]
أ. مُحَمَّد أفيلال [المغرب]	أ. خيرة بن مهيدي [الجزائر]

قواعد النّشر في المجلّة

تُرحِّب مجلّة "إحالات" بنشر البحوث الأكاديمية الرّصينة في اللّغة والأدب والنّقد، باللّغة العربيّة والإنجليزيّة والفرنسيّة، مع الالتزام بقواعد النّشر الآتية:

1. ألّا يكون البحث قد سبق نشره، أو قُدِّم للنشر في مجلّة أو أيّ شكل من أشكال النّشر الأخرى.
2. ألّا يتجاوز عدد صفحات البحث 25 صفحة.
3. أن يُرفَق البحث المكتوب باللّغة العربية بملخّص في حدود (100) كلمة والكلمات المفاتيح في حدود (05) كلمات باللّغتيْن العربيّة والإنجليزيّة. وأن يُرفَق البحث المكتوب بإحدى اللّغتيْن الأجنبيتيْن (الإنجليزيّة أو الفرنسيّة) بملخّص في حدود (100) كلمة والكلمات المفاتيح في حدود (05) كلمات باللّغة الإنجليزيّة.
4. أن يُكتَب البحث باللّغة العربيّة بخطّ Sakkal Majalla قياس 16 في المتن و12 في الهامش، والبحث باللّغتيْن الإنجليزيّة والفرنسيّة بخطّ Times new roman قياس 12 في المتن و10 في الهامش.
5. أن تُفرَد للأشكال والجداول والصّور والرّسومات صفحات خاصّة داخل البحث نفسه.
6. أن تُكتَب الهوامش في آخر البحث آليًا.
7. أن يُراعى في كتابة الهوامش ترتيبُ البيانات، كما يلي: اسم المُؤلِّف ولقبه، وعنوان المؤلَّف، ودار النّشر، ومكان النّشر، وعدد الطّبعة، وتاريخ صدور الطّبعة، ورقم الصّفحة.
8. أن يُختَم البحث بقائمةٍ للمصادر والمراجع المعتمَدة.
9. أن يُراعى في كتابة قائمة المصادر والمراجع ترتيبُ البيانات، كما يلي: لقب المؤلِّف واسمه، وعنوان المؤلَّف، ودار النّشر، ومكان النّشر، وعدد الطّبعة، وتاريخ صدور الطّبعة.
10. أن يلتزم المُؤلِّف بإجراء التّعديلات التي يطلبها المُراجِعون في أجل أقصاه (15) يومًا.
11. أن يلتزم المُؤلِّف بإدراج المراجع في المنصّة الجزائرية للمجلّات العلميّة وإمضاء التّعهُّد في أجل أقصاه (07) أيّام، وذلك بعد قبول المقال للنّشر.

فهرس

افتتاحيّة العدد	رئيس التّحرير	08
أخبار البخلاء في تراث الأدباء	نصيرة عليوة	09
تجليات التفاعل الثقافي الجزائري المغاربي من خلال أعمال "ابن رشيق" الأدبية والنقدية	فريدة مقلاتي	28
التفاعل الثقافي بين حاضرتي تلمسان وفاس في العهد الموحدي	حنينة طبيش	47
الشعر المرقوم – جماليات كتابة الشعر	ايت العسري عادل	59
التحليل البنيوي التكويني للشعر في النقد الجزائري مختار حبار أنموذجا	مريم شويشي ومحمد وهاب	75
التناص وظلاله الثقافية – مقاربة تطبيقية في نماذج من المجموعة غير الكاملة لإسماعيل إبراهيم شتات "ابن الشاطئ"	فاطمة الزهراء عطية	87
النص الترسّلي ونظرية أنواع النصوص – إشكاليّة التصنيف	أمحمد شليم	103
الأدوات الحجاجية في النص الترسلي الرسالة الرستميّة أنموذجًا	نجاة بقاص	117
الهُوية ومُقاومة الآخر في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخوص	حمزة بوزيدي	135
الكتابة بالتفكيك في النقد العربي المعاصر قراءة في نماذج نقدية	بوبكر النية	146
كلمات من لهجة قبيلة بني عامر (الملالحة) بقطاع غزة دراسة دلالية	حسين عمر دراوشة	159
الاقتراض المعجميّ بين اللّغات نماذج من رحلة الكلمات العربيّة إلى اللّغة الإسبانية	وهيبة وهيب وخديجة عبد الرحيم	182
الاستعارة في الإقراء المدرسي للنصوص – نحو تصور جديد	محمد صوضان	194
مظاهر الازدواجيّة اللغويّة في الفايسبوك وأثرها في اللغة العربيّة – دراسة ميدانيّة لمجموعات فايسبوكيّة تواصليّة أنموذجا	زينب بشيري	208
La conception de l'expérience religieuse dans l'œuvre de Mircea Eliade, *Le sacré et le profane*	Hadjera DJEBARI	218

افتتاحيّة العدد

يمثّل العدد الجديد من مجلّة "**إحالات**" ثمرة جهود حثيثة قام بها أعضاء فريق التّحرير والمُراجِعون. وهي جهودٌ تُضاف إلى بذْل مُتقدِّم كان قد رعاه، باقتدار عظيم ومُكْنَة فريدة، رئيس التّحرير السّابق الدكتور مُحمَّد بكاي الذي تتشرَّف أسرة المجلّة بعضويته الدّائمة في هيئة تحريرها، مُنتفِعة من خبرته المُتبصِّرة ورأيه السّديد، ومُتمنيّة له، في الآن نفسه، التّوفيق كلّه في حياته العلميّة والأكاديميّة على السّواء.

ويظلّ الهدف الأسمى لهذه الجهود المتواصلة والمتراكمة، فضلًا عن الإسهام مع مجلّات أخرى في الارتقاء بالبحث العلمي في الجامعة الجزائريّة، هو تمكين المجلّة من بلوغ مقام المجلّات المصنّفة في الرّتبة (ج). وهو هدف مشروع، تصبو إليه المجلّة منذ تأسيسها، وتتحمّس له مع كلّ عدد تُصدِره، وتسعى إليه في كلّ طوْر من أطوار مسيرتها المحفوفة بالآمال والإكراهات معًا؛ فقد أثبتت "**إحالات**" أهليَّتها العلميّة بأن تكون في تلك المنزلة، وهي أهليّة يشهد عليها إقبال المُؤلّفين المُتعاظِم على النّشر فيها، ودأبها على الاستجابة للمعايير التّقنية المُعتمَدة من قِبَل اللّجنة العلميّة الوطنيّة المُصادِقة على المجلّات العلميّة في انتقاء مجلّات الصّنف (ج)، وحصولها، باستمرار، على مُعامِل التّأثير العربي لاتّحاد الجامعات العربيّة، وإتاحتها في قواعد معلومات رقميّة عربيّة مثل قاعدة معلومات دار المنظومة.

والحقّ، إنّ تلك الجهود ما كانت لتُثمِرَ هذا العمل الرّصين، وتفضيَ إلى ما أفضَت إليه من سمعة علميّة طيّبة توشَّحت بها "**إحالات**"؛ سمعة ما فتِئت تتضاعَف من عددٍ إلى آخر، لولا هذا الالتفات المُتزايد لجمهور المُؤلّفين والباحثين والقرّاء إلى موادها الثّرية والجادّة. وهو ما يحثّ أسرة مجلّة "**إحالات**" مُجتمِعة، من أعضاء فريق التّحرير ومُراجِعين، على الوفاء، أكثر، بالتزاماتها العلميّة والأخلاقيّة خدمة للعلم والعلماء؛ فالله نسأل الإخلاص في النّية، والإخلاص في العمل. والله من وراء القصْد.

رئيس التّحرير

الهُوية ومُقاومة الآخر في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخوص

Identity and Resistance to the Other in the Novel "How to Breastfeed from a Lupus Without It Biting You" by Amara Lakhous

حمزة بوزيدي*

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 – الجزائر

hamzabouzidi222@gmail.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2021 / 08 / 27	2021 / 09 / 13	2021 / 12 / 01

مُلخّص البحث

طرحت ظاهرة المقاومة نفسها كإحدى أهم الموضوعات رواجا في النصوص الإبداعية القديمة والحديثة، وذلك للعلاقة الوثيقة بين الإبداع والسياقات الثقافية والسياسية والاجتماعية الناشئ في ظلها والمؤثرة فيه بشكل أو بآخر، ناهيك عن الاهتمام بالفن باعتباره وسيلة فعَّالة للتعبير عن الواقع ومقاومة ظواهره السلبية، وتأخذ المقاومة أشكال متعددة، داخلية وخارجية، نفسية، اجتماعية، سياسية، منها على جهة العُموم: مقاومة الاستعمار، مقاومة السلطة، مقاومة الظلم، مقاومة الوجود، مقاومة الآخر. وانطلاقا من هذا الطرح المختصر، نستهدف من خلال هذه المداخلة مناقشة إحدى عناصر المقاومة، وهي مُقاومة المثقف الجزائري المهاجر لتحولات وجوده الثقافي من جهة، ومُقاومته لتمثيلات الآخر الغربي التي ما برح يَصوغها عن الهوامش الثقافية المتواجدة داخل بنيته الثقافية من جهة أخرى، لنستظهر بشيء من التفصيل أهم الأساليب الثقافية والنفسية المعتمدة في ذلك، وقد اخترنا لتطبيق هذه الفرضية رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" للروائي الجزائري "عمارة لخوص"، وذلك نظرا لجودتها التمثيلية، وإحاطتها بملابسات الهجرة في أهم جوانبها وتحدياتها.

الكلمات المفاتيح: المقاومة، المثقف، المهاجر، الآخر، الهوامش.

Abstract

The phenomenon of resistance has presented itself as one of the most popular topics in ancient and modern creative texts, due to the close relationship between creativity and the cultural, political and social contexts emerging under it and influencing it in one way or another, not to mention the interest in art as an effective means of expressing reality and resisting its negative phenomena, internal and external, psychological, social, and political, including on the public side: resistance to colonialism, resistance to authority, resistance to injustice, resistance to existence, resistance to others. Judging from this brief

* الاسم واللقب والبريد الإلكتروني: حمزة بوزيدي hamzabouzidi222@gmail.com

proposition. Through this intervention, we aim to discuss one of the elements of the resistance, It is the resistance of the Algerian emigrant intellectual to the transformations of his cultural presence on the one hand, and his resistance to the representations of the Western Other that he has been formulating from the cultural margins within his cultural structure on the other hand. Let us memorize in some detail the most important cultural and psychological methods adopted in this, to apply this hypothesis, we chose the novel "How to Breastfeed with Lupus Without Biting You" by the Algerian novelist, Amara Lakhous. This is due to its representative quality, and its awareness of the circumstances of migration in its most important aspects and challenges.

keywords: The resistance, the educated, the immigrant, the other, the margins.

1. مقدمة

أصبح النقاد اليوم ينظرون إلى الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية الراهنة في غالبية دول العالم الثالث بمثابة النسق الرئيسي المحفز لعملية الهجرة إلى العالم الغربي، بحثا عن آفاق مُغايرة لإعادة استنبات الذات في بيئة جديدة تتمايز بشكل كُلِّي عن البيئة المُتردية التي خَلَّفها الفرد المهاجر في بلاده القديمة. وقد "وجب لكل ذلك أن تعمل الذات على إيجاد مواطئ وُقوف تملك من خلالها ملامح وجودها الواقعي والتخييلي لإبراز وحدتها وانسجامها إن كان ذلك مُتيسرا لها"[1]. وتختلف أنماط المهاجرين في علاقتهم مع النسيج الاجتماعي والثقافي الغربي، باختلاف غاياتهم وأهدافهم من وراء فعل الهجرة؛ ما بين مشاريع اقتصادية، ودوافع أمنية سياسية، وأخرى ثقافية محضة، تستدعي هذه الغايات أساليب مقاومة متنوعة يضمن من خلالها المهاجرون الحفاظ على تمركزهم الاجتماعي والنفسي والثقافي.

وللوقوف على ملابسات هذه المجازفة الوجودية في أهم تجلياتها الثقافية، فقد سَنَّ العَالَم السردي اتجاها خاصا يعرف بـ "سرد الهجرة" يُعْنَى بتمثيل ظاهرة الهجرة، يتعرَّضُ فيه لفعل انخلاع الإنسان من فضاءه الأصلي وما ينجر عن ذلك من تحولات نفسية وثقافية واجتماعية، لأن استبدال الفضاء المألوف، "انزياح نفسي وتخيلي، وإعادة تشكيل لأواصر الانتماء إلى العالم الإنساني جُملة، وليس مجرد مغادرة حسية لمنطقة بعينها. ففقدان المكان الأصلي، والتغرب عنه، نهاية لفكرة "التماهي مع الأصل" بحد ذاتها، وبداية لتجاوز حدود الجغرافيا واللغة والدين والطبقة والوطن"[2]. ومن أهم النماذج السردية المحيلة على هذه الفكرة، رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" للروائي الجزائري "عمارة لخوص"، والتي تقع في صنف "السرديات المُضادة" الراغبة في خلق مساحة للمقاومة واستعادة الأصوات المفقودة للإنسان الهامشي (العربي، الإفريقي، الآسيوي) في العالم الغربي.

ويُعدُّ "سرد الهجرة" فعلَ مقاومة وإثبات للذات، وانتقال من هامش الوجود إلى تقليص فجوة الهامشية مع مسرح الوجود، من خلال إجادة لعبة التمثيل السردي والثقافي، وتحمُّل تبعات هذه المجازفة، خاصة إذا علمنا أن الروائي "عمارة لخوص" مُهاجر مُقيم في إيطاليا منذ خروجه من الجزائر في زمن العشرية السوداء. وبالتالي، فالكتابة في هذه الظروف، "تتحول إلى عملية إلغاء نفي الوجود أو علامة تضاف إلى الوجود، أو هي محاولة لتبديد فقدان الإنسان لذاته في أوطان غريبة، أو في الغربة، ومن ثم تتسع الكتابة لتكون نسقا من المقاومة، وسردية مضادة لحالة الإقصاء عن الوجود"[3]، التي يرزح تحتها الإنسان المهاجر، وبشكل أخص المثقف العربي المهاجر الذي يكون أكثر تأثرا بوضعيته الوجودية مقارنة بالأصناف الأخرى.

انطلاقا من هذا الطرح، نحاول الكشف عن الإستراتيجية التي اعتمدها بطل الرواية المثقف الجزائري "أميدو" أو "أحمد السالمي" في إدارة علاقته بهويته الماضوية من جهة، وبهويته الجديدة داخل المجتمع الإيطالي، ومناقشة محاذير هذا التجاذب الهووي، ثم الوقوف على أبرز أساليب مقاومة الآخر الغربي المتعالي بهويته، في إطار نسق ثقافي رئيسي هو "نسق المقاومة الثقافية لدى المثقف العربي المهاجر"، لنعرف هل نجح المهاجر في مشروع المقاومة، أم باءت محاولاته بالفشل الذريع ؟

2. الهوية والانصهار الثقافي

أدرك المهاجر الجزائري "أميدو" صعوبة المهمة المقبل عليها في بلاد الآخر؛ فتبنى منهجية مدروسة لتسهيل عبوره الثقافي والنفسي من هويته الماضية (الجزائرية) إلى هوية البلد المضيف (إيطاليا)، وذلك من خلال رغبته في الاندماج بالقدر الذي يسمح له بالعيش على وتر الهويتين معا، دون أن تغلب إحداهما على الأخرى.

2. 1. المطابقة والوعي الطباقي

تتجلى "فكرة الهوية" وجدل الانتماء في نفور البطل "أميدو" من تعيينات الهوية، ورغبته في كسر قيود الهوية واجتراح طريق بَينِي ضمن هوية أشمل هي "الهوية الإنسانية"، ولكن هذا الانتماء انتماء حذر، لا يقوم على إحداث قطيعة نهائية مع الهوية الماضوية، ولا ينغمس في هوية الآخر بشكل نهائي، إنه عزف على أوتار الهويات الإنسانية، وتجاوز لمخاطر الانتماء، ويتضح هذا من خلال تأثر "أميدو" بمقطع من رواية "ليون الإفريقي" لـ"أمين معلوف"، يتضايق فيه هذا الأخير من تحديدات الهوية وسياجاتها المغلقة؛ فيقول: "... ولكنني لم أصدر عن أي بلد، ولا عن أي مدينة، ولا عن أي قبيلة. فأنا ابن السبيل. ما أجمل أن نتحرر من قيود الهوية التي تقودنا إلى الهاوية ! من أنا ؟ من هو ؟ من أنت ؟ من أنتم ؟ يا لها من أسئلة تافهة"[4].

ولكن التفكير بهذا المنطق في بلد مثل "إيطاليا" تتأجج فيه روح العنصرية، وتغلب عليه قيود الهوية المنغلقة، قد يكون له ضريبة غالية الثمن، ولذلك، غيَّر "أميدو" رؤيته وشرع في تغييب مُنغصات "الهوية الأصلية" والذوبان في ثقافة الآخر الإيطالي. ولقد عبر عن ذلك في "جملة ثقافية" بليغة، صاغها على النحو التالي: "لم أنتبه إلى مسألة البيتزا إلا مُؤخرا. لا شك أن البيتزا هي أُكلتي المفضلة، لا أستطيع الاستغناء عنها. كل أعراض الإدمان بارزة إذن، امتزجت بدمي كما تفعل الكحول بدم المدمن. عما قريب أذوب في العجين وأصير بدوري بيتزا ؟"[5]؛ فالبيتزا جزء من مكونات الثقافة الإيطالية، والانحلال فيها هو انحلال في الثقافة.

محاولة التطابق هذه تظهر بوضوح منذ العتبة الأولى للرواية؛ فالفعل "ترضع" في عنوان الرواية يُحيل إلى فرضية الاندماج والذوبان في ثقافة المجتمع الإيطالي، لأن "الرضاعة ليست أكثر من مُحاولة للاندماج الحذر في الوسط الجديد، هو بحث عن انتساب جديد، أي عن امتداد آخر للوجود، غير الجذر الأول الذي خرج منه المهاجر. فكرة الاستنبات تطرح نفسها بشدة، بمُجرد الإحالة إلى عملية الرضاعة، هو اكتساب الاعتراف بأبوية جديدة، أي بانتماء جديد"[6]. والإفادة من عناصر ثقافية ليس بمقدور الانتماء الأول توفيرها، ولكن التهديد يطال الحالتين معا، فما فر منه هو نفسه ما سيواجهه، ولكي يصل المهاجر إلى هذه المرحلة

المتقدمة من درجات الوعي بذاته الداخلية والخارجية، عليه أن يعيد ترتيب "العلاقة الجديدة مع الأدوات الداخلية، وقبول الخسارات وهضم واستيعاب الحزن والرثاء، هي من المؤشرات التي تتيح إمكانية الاندماج في كلا البلدين، والتواصل بين الزمنين، بين المجموعتين الماضية والراهنة "[7]، دون تغليب إحداهما على الأخرى.

بَيد أن هذا التطابق مع الهوية الإيطالية الجديدة لم يكن بصورة نهائية، ولكنه تطابق مُؤقت يتماشى مع السياق الثقافي الجديد، والغاية المنتهجة من طرف المهاجر؛ فهو يحتفظ بداخله بأجزاء الهوية الماضية، وهي حالة وجودية بالغة التعقيد، يصفها المفكر "إدوارد سعيد" بـ"الوعي الطباقي"، فيه "تكون البيئتان كلتاهما، الجديدة والقديمة، حَيَّتين، وقائمتين، تقعان معا"[8]. وفي غالب الأحيان، تكون عملية اكتساب "الوعي الطباقي" حتمية وُجودية ومسار منطقي، بعيدا عن قصدية الفعل الذاتي للمهاجر؛ فـ "مع مرور الزمن يتركز اهتمامه تدريجيا على أسلوب حياته الراهنة والناس المحيطين به، فيبتعد عن الذكريات والتفكير المتواصل بالأقرباء والأهل والأصدقاء القدامى"[9]. ويقتصر الاستدعاء على المناسبات التي تفرض العودة إلى الذاكرة، كالأعياد الوطنية والدينية، أو اللقاء المباشر مع الأصدقاء المشتركين في الهوية الماضوية الواحدة. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو كالتالي: هل تجاوب الفضاء المضيف مع رغبة المهاجر "أميدو" في استحداث هُوية إنسانية عالمية تقوم على نبذ الاختلافات العرقية والجغرافية والدينية ؟ والحقيقة أنه لا يمكننا الإجابة عن هذا السؤال قبل التعرض لمجموعة من المعطيات الجدلية بين الضيف والمستضيف.

2. 2. تعطيل الذاكرة الثقافية

لتحقيق هذا "الوعي الطباقي" الذي يُسهّل عملية "الاندماج الثقافي" فقد عمد المهاجر "أميدو" إلى حيلة نفسية أثبتت نجاعتها في سياق تحوله الثقافي، وهي "عميلية تعطيل الذاكرة الثقافية"، وذلك بالتقليل من حجم استعادة الماضي والأصول، والتركيز على الحاضر والراهن، ولذلك يتمنى أن يقتدي بزوجته الإيطالية "ستيفانيا ميسارو" وأن ينظر للحياة وفق منظورها، يقول: "ستيفانيا هي الحياة أي الحاضر والمستقبل. أحب استيفانيا لأنها متعلقة بالحياة، أعشق ذاكرتها الخالية من الكوابيس. أريد أن تصيبني بالعدوى: عدوى الحياة، عدوى الحب، عدوى المستقبل وعدوى العواء السعيد. أووووووووووووووو..."[10].

نلمح رغبة تعطيل الذاكرة الثقافية والماضي في العتبات الأولى للرواية، وذلك في "عتبة التصدير الاستهلالي" (L'épigraphe Liminaire) أين يستدعي الروائي مقطعا من رواية "ابتداع الصحراء" (L'invention du désert) للروائي الجزائري "الطاهر جاووت"، جاء فيه: "الناس السعداء ليس لهم عمر ولا ذاكرة، فهم لا يحتاجون إلى الماضي". إنَّ هذا التصدير في وظيفته (التعليق على العنوان)* يجيب على عنوان الرواية المُصاغ في شكل سُؤال، فتكون هذه الوظيفة "مرة قطعية ومرة أخرى توضيحية d'éclaircissement ومن هنا فهي لا تبرر النص ولكن تبرر عنوانه، وقد اشتهرت هذه الوظيفة في سنوات الستينات من القرن الماضي. وهذه التبريرية للعنوان من طرف التصدير لا تكون إلا إذا كان العنوان مبنيا على الاقتراض (emprunt)أو التلميح (allusion) أو إعادة التشكيل الساخر (déformation parodique) "[11]؛ فكأن الروائي

يريد أن يقول للقارئ: إذا أردت أن تعرف كيف تنتمي إلى إيطاليا (كيف ترضع من الذئبة ؟) دون أن تتعرض للإقصاء والتهميش العنصري (أي دون أن تعضك)؛ فما عليك إلا أن تتخذ عدة إجراءات نفسية وثقافية لعل من أهمها أن "تُعَطِّل ذاكرتك الثقافية"، وأن تتحرر من كوابيس الماضي بما له وما عليه.

في المرحلة الثانية، ينتقل "أميدو" من منطق الرغبة إلى منطق الفعل، وذلك عن طريق الزواج من الفتاة الإيطالية "ستيفانيا ميسارو"؛ فتعطيل العناصر الثقافية السابقة لا يتم إلا بالانغماس في الوسط الجديد، تقول زوجته: "لقد ضحى أميدو بكل شيئ من أجلي، إذ تنازل عن وطنه ولغته وثقافته واسمه وذاكرته. أراد أميدو إسعادي بأي ثمن. تعلم الإيطالية من أجلي وأحب الطبخ الإيطالي من أجلي وسمى نفسه أميدو من أجلي، باختصار صار إيطاليا لإسعادي"[12]. ويمكن النظر إلى الزواج بفتاة أجنبية – زيادة على فكرة تعطيل الذاكرة الثقافية – على أنه بحث عن المكانة داخل سلم الترتيب الاجتماعي الإيطالي، وبالتالي، نلاحظ أن هناك ازدواجية واضحة في كل المواقف العملية التي يُقبل عليها المهاجر المثقف، وهو ما يدل على نسق مُحكم ووعي مُسبق في التفاوض مع البيئة الثقافية الجديدة .

كما لا يكتفي "أميدو" بوضعيته الفردية، بل يُحاول نقل العدوى إلى زُملائه من المهاجرين، على غرار رغبته في تحويل نمط تفكير المهاجر الإيراني "بارويز"، عن طريق غمسه غير المباشر في حيثيات الثقافة الإيطالية بِحَثِّهِ على تعلم الطبخ الإيطالي، ولكن مساعيه باءت بالفشل بسبب تعنت "بارويز" وإصراره على مقاطعة الثقافة الإيطالية الجديدة والعيش وفق نمط ثقافته الأصلية. يقول "أميدو": "حاولت أكثر من مرة إقناع بارويز بتعلم أصول الطبخ الإيطالي لكنه رفض. هذه المسألة تثير تساؤلات عدة، إنها تتجاوز عتبة المطبخ. أعتقد أن بارويز خائف من نسيان الطبخ الإيراني إذا ما تعلم شيئا من الطبخ الإيطالي. هذا هو التفسير الوحيد لكرهه للبيتزا خُصوصا والعجائن عُموما. كما يقول المثل العربي: "لا يجتمع سيفان في غمد واحد". بارويز مقتنع باستحالة الجمع بينهما"[13].

لقد أراد المهاجر "أميدو" من وراء إمكانية تعلم صديقه المهاجر الإيراني "بارويز" الطبخ الإيطالي تعطيل ذاكرة "بارويز" الثقافية، لأن نوعية الثقافة الغذائية وطريقة إعدادها، عملية تحيل بشكل مباشر إلى الثقافة التي تشكلت في ضوئها؛ فهذا المهاجر الإيراني "لا يطبخ لأجل أن يَسُد جوعا بيولوجيا، بل لأجل أن يستعيد روابطه بالوطن. الرائحة كفيلة بأن تخرج الشخصية – ولو مؤقتا – من واقعها المأساوي، وتجعلها تحلق في أفق آخر تستعيد فيه رائحة الوطن. ومن جهة أخرى، فإن التجربة التي عاشتها الشخصية داخل المطبخ هي استعادة هويتها الثقافية، أي توازنها الروحي"[14]. ومن هنا، فتعلم الطبخ الإيطالي يُضعف نوازع الحنين إلى الثقافة الإيرانية الأصلية ويعمل على تعطيلها، ما يفضي إلى الاندماج الجديد.

3. الهُجنة الثقافية وأساليب المقاومة

بعد أن تخطى المهاجر "أميدو" المراحل الثلاث الأولى من أزمة "الصدمة الثقافية"*، راح يتعامل بصورة واعية مع المرحلة الأخيرة "مرحلة الإجادة"، "التي يصبح فيها أكثر انسجاما مع مجتمعه الجديد، سواء

تسنى له ذلك بالاندماج الكامل في عاداته وتقاليده واكتسابها وتبنيها أو بإيجاد حالة من التناغم بين ثقافته وثقافة مهجره لا يشعر من خلالها بأي تنافر مُخل"[15]. ولا تقتصر على الاندماج السلس في الكون الثقافي الجديد الذي ولجه المهاجر، وإنما تتعداها إلى القدرة على إدراك ومقاومة أوهام الثقافة الغربية وتعصباتها، وتفكيك الكليشيهات والصور النمطية الملصقة بالمهاجرين والغرباء عن البيئة الغربية.

3. 1. المهاجر المثقف / الموقع والغاية

تتجاوز غايات وآمال المثقف المهاجر مسألة الهجرة من أجل تحصيل لقمة العيش، وتحقيق الرفاه المادي، إلى اكتساب بُعد "القضية" الإنسانية العالمية، وانطلاقا من هذه الرغبة الجامحة إلى تحرير الفكر الإنساني من براثن العنصرية والإقصاء ومساندة الأقليات الهامشية في كافة مناطق العالم، يكون المثقف – الشرقي والإفريقي على وجه الخصوص- أكثر حساسية ومعاناة؛ إذ "يعيش المنفي {المثقف} توترا ثقافيا أكثر من غيره، ولهذا فهو دائم التأمل في جرحه، وهو يقف مُرغما في موقف متميز من الثقافة، يعتصره الألم ويزج به إلى الخيال والإبداع في مجالات الثقافة، (الرواية، السينما، الموسيقى،...) تكاد كلها أن تكون تعويضا متعاليا، وتصعيدا للإحباط وخسارة المنفى"[16]. على الأصعدة الواقعية والثقافية والسياسية الأخرى، والتعويض هنا قد ينطبق على كاتب الرواية، كما قد ينطبق على الشخصيات الروائية.

إذ يرفض معظم المهاجرين المثقفين أن يكونوا محض ذوات عابرة على تخوم فضاءات بينية، ويأخذون على عاتقهم مهمة تمثيل الذوات المقهورة المماثلة لتجاربهم الوجودية الواقعة على هامش الوجود، هذه الثقافة "هي ثقافة مقاومة ومضادة لجماليات الحداثة الرائجة؛ لأنها ثقافة ساهم في إنتاجها آداب المقموعين والمهمشين والمنبوذين والمنفيين الذين يعارضون جماليات المركز ويقفون منها موقف النقيض، كما أتاحت لهم مدن المنافي هاته أيضا موقعا بينيا يرفض تلك الحدود الفاصلة بين النظم المعرفية والثقافات المختلفة ويأبى أشكال التراتب الثقافي والاجتماعي كافة"[17]. ولذلك، تتمايز غاية "أميدو" عن باقي المهاجرين. يقول: "الكثير من المهاجرين المهمشين الذين يتوسدون زجاجات البيرة والخمر في حديقة ساحة فيتوريو لا يكفون عن العواء الحزين لأن عضة الذئبة قاسية ومؤلمة... أما أنا فأعوي من شدة الفرح، أنا أرضع من ثدي الذئبة برفقة اللقيطين روموليو وريمو. أنا أعشق الذئبة ولا أستطيع الاستغناء عن حليبها"[18].

في سياق المقاومة، يؤكد الناقد الفلسطيني الأصل "إدوارد سعيد" على أن المثقف يجب أن يتموقع في الهامش وأن ينظر إلى نفسه على أنه مهاجر وإن لم يكن كذلك واقعيا، "وأن يتخيل ويبحث ويستقصي على الرغم من الحواجز، وأن يسير دائما في الطريق الذي يبتعد به عن السلطات المركزية ويقترب به من الهوامش، فهناك تستطيع أن ترى الأشياء التي عادة ما لا تدركها العقول التي لم تبتعد يوما عن كل ما هو تقليدي ومُريح"[19]. وكأن "إدوارد سعيد" يبحث عن نوع من الحرية والاستقلالية في النظر إلى الأحداث داخل فضاء المجتمع، لأن الركون إلى إغراءات السلطة يحجب مساحة الرؤية اتجاه الفئات الأخرى المتموقعة في أدنى الهرم الاجتماعي، فالمثقف المقاوم هو ذلك الذي يجد لنفسه موقعا خاصا يُقيِّم به المواقف بوعي طباقي،

لا يتماهى مع الأصوات المهيمنة ولا يتغافل عن الأصوات المقموعة، وإن كان "إدوارد سعيد" يقترب أكثر من الفضاء الهامشي.

3. 2. معرفة الآخر: التنكر والمقاومة

بدأ المهاجر "أميدو" رحلة المعرفة عن الآخر انطلاقا من تغيير نسق التفكير والسلوك الثقافي المعروف لدى الأقليات والمجموعات المهاجرة؛ إذ يتنقل يوميا إلى قاعة السنما، وقاعة المطالعة، وهو كثير النقاشات مع الطالب الهولندي، ومع أستاذ التاريخ بجامعة روما، وبالرغم من ارتياده لمحل بيع الخمور إلا أنه لا يتخلى عن عادة المطالعة، يقول عنه البائع في ذات المحل "ساندرو دنديني": "جلس على الطاولة وأخذ يتصفح صحيفة "الكوريري دلا سيرا"، ثم رأيته يقرأ عمود الصحفي إندرو مونتانلي. لم أشاهد في حياتي كلها صينيا أو مغربيا أو هنديا أو رومانيا أو غجريا أو مصريا يقرأ "الكوريري دلا سيرا" ! المهاجرون يتصفحون فقط جريدة بورتا بورتيزي التي تحتوي على إعلانات العمل"[20].

مَكَّنته معرفته المستفيضة بالفكر والتاريخ الإيطالي من إدراك المنابع والمنطلقات العنصرية للمجتمع الإيطالي، الصادر عن شُوفينية واضحة في إدارة قضايا القومية، والراجع إلى نظامه الفاشي المتعصب للقومية والهوية الإيطالية، وكل ما هو إيطالي، فتجاوز بذلك مرحلة البحث عن إعادة التمركز إلى درجة متقدمة في البحث ثم الكشف عن الحقيقة، والاستفادة من إيطاليا دون الوقوع ضحية لها. وقد مَكَّنه من تقمص هذا الدور الكفاءات والآليات الثقافية التي يتمتع بها، "ومن ثم يصبح واجبه الرئيسي إحكام مهارات البقاء والتعايش هنا، مع الحرص الدائم على تجنب خطر الإحساس بأنه حقق درجة أكبر مما ينبغي من الراحة والأمان"[21]، لأنه ببساطة تحت ضوء المتابعة الأمنية والهوس المرضي من الغرباء.

من الوجهة المنطقية، لا تتم مقاومة الآخر المختلف إلا من خلال التعرف على "أنساقه الثقافية والفكرية والاجتماعية"، والعمل على تمثلها ومُحاولة مطابقتها قدر الإمكان، وذلك في سياق "التنكر الثقافي" الرامي لمجابهة "إيديولوجيا التمييز العرقي" والتحرك بفعالية داخل نسيج المجتمعات الغربية، وهو ما تناقشه الرواية"؛ إذ كان الجميع في العمارة يعتقدون أن المهاجر "أميدو" إيطالي الأصل، لأنه يمتلك – في اعتقاد الإيطاليين – خصائص الرجل الإيطالي من أخلاق مثالية، وليونة في التعامل، ومساعدة الآخرين وحل مشاكلهم، وإتقان اللغة الإيطالية، ومعرفة تاريخ روما، وتجنب المشاكل،... تقول صاحبة العمارة "العجوز بندتا" عن الأخبار المُروج لها في حق "أميدو": "أصبحت لا أفهم شيئا. اللعنة على الشيخوخة ! حسنا، إذا كان السنيور أميدو أجنبيا كما تدعون، فمن هو الإيطالي حقا؟ بدأت أشك في الجميع حتى في نفسي، سيأتي يوم يقولون فيه إن بندتا إسبوزيتو ألبانية أو فيلبينية أو باكستانية، عش ترى !"[22].

نتج هذا "الإيهام الثقافي" من قدرة "أميدو" على تحقيق "المطابقة الثقافية"، الصادرة بدورها عن "نسق معرفة الآخر"، ومن ثم القدرة على هدم نسق غربي نمطي ومُستبد، ينسب "الجهل الفكري والسلوكي" للغرباء والمهاجرين الوافدين على أوروبا، كما تمكن المهاجر "أميدو" على إثر هذه المعرفة العميقة من نسج علاقات مع مراكز مختلفة بإيطاليا على غرار العلاقة بينه وبين المفتش الإيطالي "بيتاريني". وبذلك، استطاع

حل مشكلة المهاجر الباكستاني المتمثلة في تشابه اسمه ولقبه مع مجرم مطلوب لدى المحاكم الدولية؛ فالتنكر/التقنعُ الثقافي يمنح المهاجر القدرة على التمويه الثقافي والخروج من دائرة الآخر الوافد المغضوب عليه، إلى دائرة القبول ولو بشكل مؤقت أو وهمي، ما يجعله يتنقل داخل المجتمع المُضيف بكفاءة عالية.

ولكن، بمجرد أن تخلى المهاجر "أميدو" عن قناع "الأصولية الإيطالية" واعترف بأنه مُهاجر ولا ينتمي في أصوله إلى المجتمع الإيطالي، حتى انقلبت الأصوات المؤيدة والداعمة إلى أصابع اتهام؛ إذ تم اتهامه بجريمة قتل داخل مصعد العمارة التي يقطن بها، يقول الجزائري المهاجر بائع السمك في روما "عبد الله بن قدور": "ألا ترون ماذا تقول الصحف عن أحمد من أكاذيب، عندما اكتشفوا أنه مهاجر وليس إيطاليا، لم يتأخروا في اتهامه بجريمة القتل. لقد أخطأ أحمد عندما سبح خارج الحوض. اختفاؤه هذا يثير التساؤل القديم الذي حير أولاد الحومة كثيرا: أين ذهب أحمد أو أميدو – كما تسمونه أنتم – ؟"[23].

لقد أدَّى إسقاط قناع الأصولية، والسباحة ضد التيار الفكري الإيطالي إلى استدعاء النعرات الشوفينية، والتي تُعد في أساسها تعبيرا عن عدم القدرة على التعايش تحت سياسات الفضاءات البينية، على اعتبار أن الشوفينية "نوع من التكتيك الدفاعي يلجأ إليه الفرد غير المؤهل نفسيا لأن يُقيم علاقات سوية متكافئة مع الآخرين بصفة عامة أو مع جماعة محددة منهم. ومن ثم فهو يخفي عدم قدرته على التفاعل والاندماج وراء ادعاءات بالكراهية للآخرين بشكل عام ولأعضاء جماعة محددة وذلك حتى يحمي عجزه عن الافتضاح، فهو يقنع نفسه بأن العالم بناء قائم على علاقات غير متساوية لا يمكن تجاهلها أو تغييرها"[24]؛ فالمسألة في أساسها نفسية ثقافية بين الفرد الأصلاني والفرد الغريب.

يتأثر غالبية المهاجرين بخلفياتهم الثقافية وتتحدد على إثرها نوعية الحكم عليهم، بغض النظر عن تطابق السلوكات الحاضرة مع الخلفيات المتوارية، فرغم إعجابهم بتعاملات هذا المثقف المهاجر وبسمعته الطيبة، إلا أن سمة المهاجر تبقى كفيلة بتوجيه كل الصفات العدوانية الانتقاصية إليه. "والمثقف الذي يعتبر نفسه جزءا من نظام عام تخضع له الجالية القومية النازحة لن يكون على الأرجح مصدرا للتأقلم والتكيف الثقافي بل مصدرا للقلقلة والبلبلة وزعزعت الاستقرار"[25]، الذي تحاول الأنظمة بمختلف أشكالها فرضه على المجموعات الثقافية المنطوية تحت لوائها عن طريق الاستبداد والتحيز واللاعدالة.

بالرغم من أن إيطاليا هي بلد الانفتاح الثقافي، إلا أن الفرد المثقف يبقى مُتابعا بتهمة التحديد والانتماء السياسي؛ لأن طبيعة السلوكيات المتكررة تدعوا الآخرين إلى وسمه بتيار واتجاه معين؛ فالمهاجر المثقف "أميدو" مثلا يمتنع عن استعمال كل ما يَمتُّ بصلة إلى مظاهر الحضارة، ما جعل صديقه الأستاذ الإيطالي يشك في انتمائه لدعاة حماية البيئة (الخضر). يقول: "يجب أن أعترف أن امتناع أميدو عن استعمال المصعد والأتوبيس والمترو وتعلقه بالمشي جعلني أشك في انتمائه إلى تيار سياسي يفوق النازية والفاشية والستالينية خطورة ألا وهو تيار "الخضر" أنا لا أتحرج من تسمية دعاة حماية البيئة بالبرابرة الجدد لأنهم يسعون بكل الطرق إلى إيقاف عجلة التقدم والتكنولوجيا وإعادة البشر إلى كهف العصر الحجري"[26].

يتجلى منطق الفوبيا من الأجانب في كثرة الشكوك والافتراضات السلبية حول شخصية المهاجر "أميدو"، بل ويتعدى الأمر إلى إصدار الأحكام انطلاقا من سلوكيات يومية بسيطة، قد يمارسها صاحبها لذاتها لا تجسيدا لأفكار سياسية معينة. ثم إن هذا التيار الداعي إلى الحد من هيمنة التكنولوجيا على الحياة الفردية والجماعية للإنسان الأوروبي، هو تيار يقوده طائفة من مفكري وفلاسفة أوروبا اللامعين، على غرار فلاسفة مدرسة فرانكفورت الألمانية، في صورة (أدورنو، هوركهايمر،...) الذين أدركوا مدى خطورة التقنية في السيطرة على الطبيعة والإنسان، وتقنين حريتهم، وعلى هذا الأساس، فإن إرفاق هذا التيار بشخصية "أميدو" وربطه بالبربرية ماهو إلا ترسيخ لمنطق التقابل عبر ثنائية (المتحضر / البربري) المتجذرة في العقل الأوروبي العنصري.

تظل سمات التخلف وصمة على جبين المنتمين لدول العالم الثالث، حتى من فئة المثقفين، وهي من بين العقبات التي يواجهها المغتربون، ولهذا فإن، "المفكر المنفي أشد الناس إحساسا بالاغترابين الوجودي والفكري، لأنه يواجهه على صعيدين: الواقع اليومي وما يفرضه من احتكاك وتواصل مع آخر مختلف في تصوراته وذهنياته، وواقع فكري جديد، يضع المفكر المنفي أمام منتوج غربي، لا يحيد في تصوره للشرقي عن التصور الإمبريالي السابق، فيقرأ في أدب الغرب صورة الغربي المتحضر والشرقي المتخلف"[27]. وهذا ما دفع المهاجر الجزائري المثقف إلى العمل على فضح تلك الأوهام، واستثمار معرفته بالآخر، وموقعه البيني على تخوم الثقافات لإعادة الاعتبار للعالم الشرقي القابع في هامش الوجود الغربي.

في ضوء ما تقدم، يمكننا أن نجيب على السؤال الذي طرحناه سابقا عن مدى تجاوب الفضاء المضيف مع رغبة المهاجر "أميدو" في استحداث هُوية إنسانية عالمية تقوم على نبذ الاختلافات العرقية والجغرافية والدينية، على النحو التالي: صحيح أن العقل الغربي ينظر إلى الآخر الوافد من منطلق الإنتاجية التي يضيفها هذا الأجنبي إلى مجالات العلم والثقافة بصفة عامة، إلا أن هذه النظرة لا تتم غالبا إلا في ضوء اختبار مرجعياته ومقارنتها بمرجعيات المركزية الغربية والقيم الصادرة عنها، وعليه فإن إمكانية القبول مرهونة بمطابقة قيم ومنطلقات هذه الأخيرة، أو على الأقل الاقتراب من مطابقتها، وإلا سيتعرض للإقصاء والتهميش والنبذ، وما وسم المفكرين الأوروبيين للناقد الفلسطيني الأصل "إدوارد سعيد" ببروفيسور الإرهاب إلا نتيجة حتمية لفرضية الوقوف في وجه القوى والسلطات الغربية العنصرية.

4. خاتمة

من خلال هذه المحاولة النقدية لفرضية مقاومة الذات المهاجرة لذاتها في تحولاتها الوجودية والثقافية والاجتماعية من جهة، ومقاومة أوهام الآخر الغربي، والقدرة على التموقع الفعَّال للقيام بهذه المجازفة المحفوفة بالمزالق، نصل إلى مجموعة من النتائج نصوغها على النحو التالي:

- يظهر "سردُ الهجرة" باعتباره الاتجاه الأنسب لتمثيل أحوال المهاجرين وعلاقتهم بذواتهم من جهة وبالآخر الغربي من جهة أخرى، وتتجلى المقاومة في هذا السياق وفق تمفصل ثنائي، فهي مقاومة للتحول الوجودي

وما ينجر عنه من أزمات نفسية ثقافية، وهي مقاومة لتمثيلات الآخر الغربي المتعالي بقيمه وبهويته الثقافية، والساعي إلى تسييج هويته، وحمايتها من الغرباء والأجانب.

- نلمح تبلورا واضحا في رؤية المثقف الجزائري لـ"فكرة الهوية": فرغم إقراره بحجم المزالق المترتبة عن الانغلاق والتمترس خلف هوية ما، وتقييم الآخرين من خلالها، إلا أنه يتنازل نسبيا، ويُحوّل مشروعه إلى الاندماج والانصهار في ثقافة الآخر الإيطالي المضيف، وفق مبدأ "الوعي الطباقي" أو العيش "داخل هُويتين"، مبتكرا لنفسه شخصية مُتنكرة ثقافيا، مُعتمدا على تعطيل وإرجاء هويته الماضوية قدر المستطاع، وذلك تلبية لمتطلبات العيش على تخوم الثقافات، وحفاظا على الذات وتسهيلا لحركيتها داخل المجتمع الجديد.

- بعد إرساء معالم الذات في الفضاء الجديد والحصول على "القبول الثقافي" نتيجة الجهد الثقافي والنفسي في المرحلة الأولى، ينتقل المهاجر الجزائري "أميدو" إلى العمل على النهوض بالإنسان الهامشي المقهور، واستثمار هويته الإيطالية الجديدة في التخفيف من حدة الظلم البيروقراطي على المهاجرين، والتوسط للضعفاء في مراكز الأمن، ليقوم في المرحلة الأخيرة بتفكيك وكشف فداحة الأوهام الغربية عن العالم الثالث بصفة عامة.

الهوامش

[1]- حاتم الورفلي: بول ريكور...الهوية والسرد، (د.ط)، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 34.

[2]- شرف الدين ماجدولين: الفتنة والآخر-أنساق الغيرية في السرد العربي، ط1، دار الأمان، الرباط، المغرب، 2012، ص 187.

[3]- رامي أبو شهاب: في الممر الأخير: سردية الشتات الفلسطيني (منظور ما بعد كولونيالي)، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2017، ص 203.

[4]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ط2، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2006، ص 126.

[5]- المصدر نفسه، ص 28.

[6]- المصدر نفسه، ص 167.

[7]- ليون غرينبرغ، ربيكا غرينبرغ: التحليل النفسي للمهجر والمنفى، تر: تحرير السماوي، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سورية، 2008، ص 159.

[8]- إدوارد سعيد: تأملات حول المنفى ومقالات أخرى1، تر: ثائر ديب، ط2، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007، ص 133.

[9]- ليون غرينبرغ، ربيكا غرينبرغ: التحليل النفسي للمهجر والمنفى، ص 95.

[10]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص 125.

* للتصدير أربعة وظائف رئيسية حسب طرح الناقد "جيرار جينات": (وظيفة التعليق على العنوان)، (وظيفة التعليق على النص)، (وظيفة الكفالة/الضمان غير المباشر)، (وظيفة الحضور والغياب)، أنظر: عبد الحق بلعابد: عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008، ص 111-112.

[11]- المرجع نفسه، ص 111.

[12]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص 125.

[13]- المصدر نفسه، ص 28-29.

[14]- لونيس بن علي: الهوية الثقافية: من الانغلاق الإديولوجي إلى الانفتاح الحواري، مجلة تمثلات، م1، ع2، ص 177.

* الصدمة الثقافية: ظاهرة تبرز جراء الانتقال للعيش في بلد آخر غير مألوف، يعاني الفرد من خلالها عدة مشكلات تتعلق غالبا بعدم القدرة على استيعاب تدفق المعلومات الجديدة والحواجز اللغوية والثقافية والتقنية والحنين إلى الديار وعدم الانسجام مع الآخرين لأسباب عاطفية أو

نفسية مختلفة، وتمر الصدمة الثقافية بأربع مراحل مختلفة، وهي: مرحلة الإعجاب، مرحلة التفاوض، مرحلة الضبط والتوفيق، مرحلة الإجادة. ينظر: محمد حسن علوان: الرحيل، نظرياته والعوامل المؤثرة فيه، ط1، دار الساقي، بيروت، لبنان، 2014، ص 224.

[15]- المرجع نفسه، ص 227.

[16]- إسماعيل مهنانة: العرب ومسألة الاختلاف، مآزق الهوية والأصل والنسيان، منشورات القرن 21، الجزائر، 2016، ص 161-162.

[17]- محمد الشحات: سرديات المنفى، الرواية العربية بعد1967، ط1، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006، ص 21.

[18]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص 137.

[19]- إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2008، ص 115.

[20]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص 105-106.

[21]- إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، ص 95.

[22]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص 35.

[23]- المصدر نفسه، ص 135.

[24]- عماد الدين إبراهيم عبد الرزاق: الشوفينيَّة، بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، النجف، العراق، (د.ت)، ص 13.

[25]- إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، ص 97.

[26]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص 89.

[27]- سامية بن عكوش: الطباقية أسلوب للتواجد والمقاومة، في فكر إدوارد سعيد، ضمن كتاب: إدوارد سعيد، الهجنة، السرد، والثقافة، منشورات القرن21، الجزائر، 2016، ص 197-198.

المصادر والمراجع

إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2008.

إدوارد سعيد: تأملات حول المنفى ومقالات أخرى1، تر: ثائر ديب، ط2، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2007.

إسماعيل مهنانة: العرب ومسألة الاختلاف، مآزق الهوية والأصل والنسيان، منشورات القرن 21، الجزائر، (د.ط)، 2016.

حاتم الورفلي: بول ريكور...الهوية والسرد، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)،(د.ت).

رامي أبو شهاب: في الممر الأخير: سردية الشتات الفلسطيني (منظور ما بعد كولونيالي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2017.

سامية بن عكوش: الطباقية أسلوب للتواجد والمقاومة، في فكر إدوارد سعيد، ضمن كتاب: إدوارد سعيد، الهجنة، السرد، والثقافة، منشورات القرن21، الجزائر، 2016.

شرف الدين ماجدولين: الفتنة والآخر-أنساق الغيرية في السرد العربي، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2012.

عبد الحق بلعابد: عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008.

عماد الدين إبراهيم عبد الرزاق: الشوفينيَّة، بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، النجف، العراق، (د.ت).

عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2006.

لونيس بن علي: الهوية الثقافية: من الانغلاق الإديولوجي إلى الانفتاح الحواري، مجلة تمثلات، م1، ع2.

ليون غرينبرغ، ربيكا غرينبرغ: التحليل النفسي للمهجر والمنفى، تر: تحرير السماوي، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سورية، ط1، 2008.

محمد الشحات: سرديات المنفى، الرواية العربية بعد1967، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006.

محمد حسن علوان: الرحيل، نظرياته والعوامل المؤثرة فيه، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2014.

EISSN : 2710-8643 **ISSN** : 2602-7585

مجلة إحالات في اللغة والأدب